

ألف حكاية وحكاية (١١٢)

عقلك فوق زجاج سيارة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم

نسيم

الناشر
مكتبة مصر
القاهرة
شارع جمال عبد الناصر
٩٠٨٩٥٠٥

الأطفال يتنقلون فوق العمارات

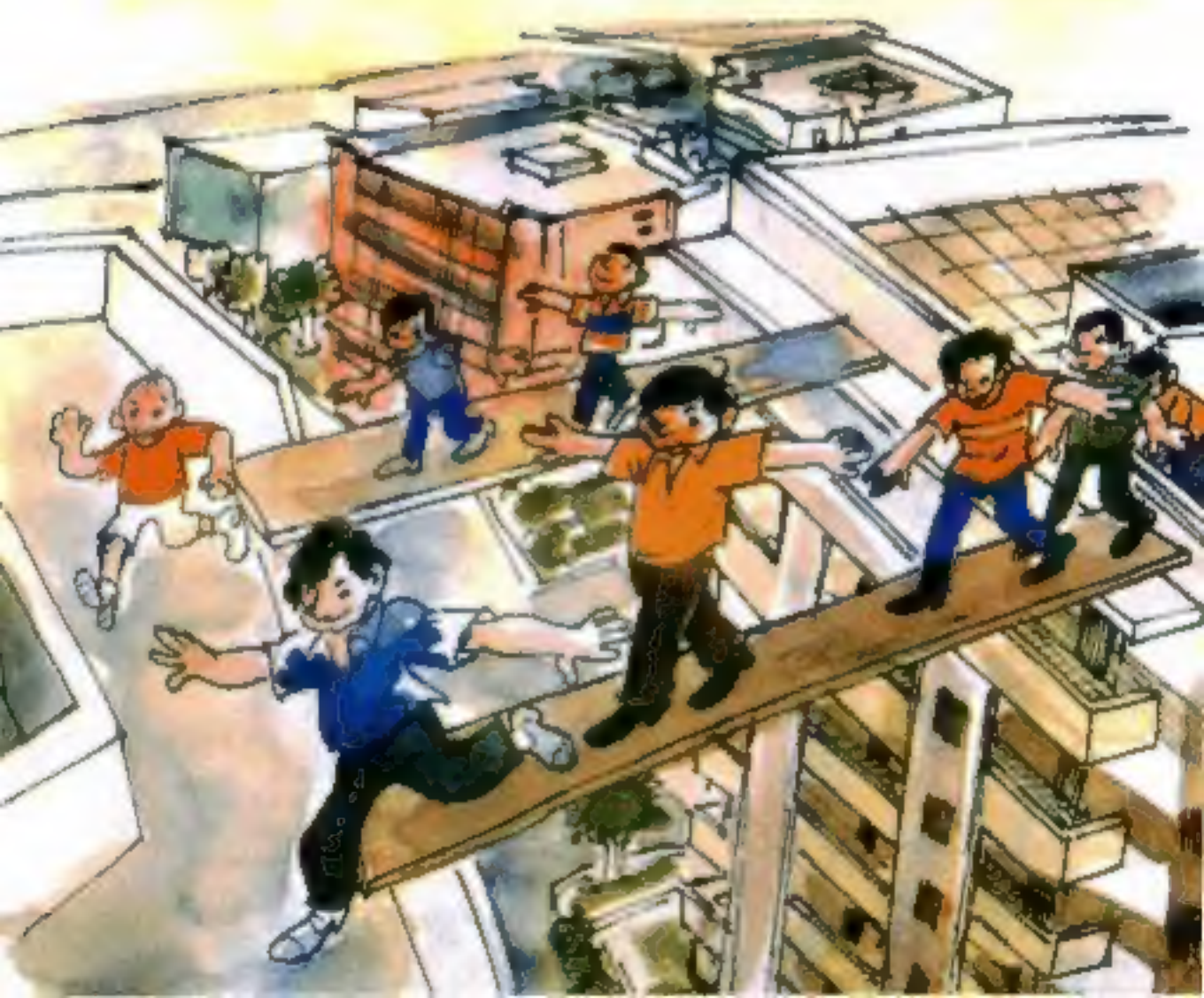
سألوا طفلاً: "كيف تحل مشكلة الزحمة في الشوارع؟"
فرسم مجموعة من العمارات العالية، وبين كل سطح عمارة
وأخرى نوح خشبي طويل (سقالة)، انطلق فوقها طابور الأطفال،
يتنقلون بسعادة وحرية فوق أنحاء المدينة، بعيداً عن مخاطر
السيارات وهواء الشوارع الملوّث.

قالوا لهم: "لكن الطفل قد يقع وهو يعبر من فوق عمارة إلى
أخرى، فالسائل ليست عريضة، ولا سورها".
قال الأطفال: "الكبار هم الذين يسقطون!! أما الأطفال، فهم
خبراء في حفظ التوازن فوق الأماكن العالية، وعلى القناطر الخشبية
الرفيعة!!"

هذا ما تقوله إحدى اللوحات المعروضة في معرض رسوم كتب
الأطفال، في معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال، من رسم فنان
كاريكاتير عالمي، خصّص المعرض جناحاً كاملاً لإنتاجه، منذ رسم
أول قصة بالرسوم المتحركة وعمره اثنا عشر سنة، إلى أن أصبح
الآن متخصصاً في رسم برامج أسطوانات الكمبيوتر (CD).

وإذا كان الناشرون من قارات العالم الخمس، هم الذين

يقدّمون في كل عام الجديد والمبتكر في عالم كتب الأطفال ، فإن
المُشرفين على المعرض هم الذين يقدمون للرّسّامين من فناني كتب
الأطفال ، كل إمكانيات تبادل الخبرات ، في شكل ورش عمل ،
تتميز بالجديّة وارتفاع المستوى .



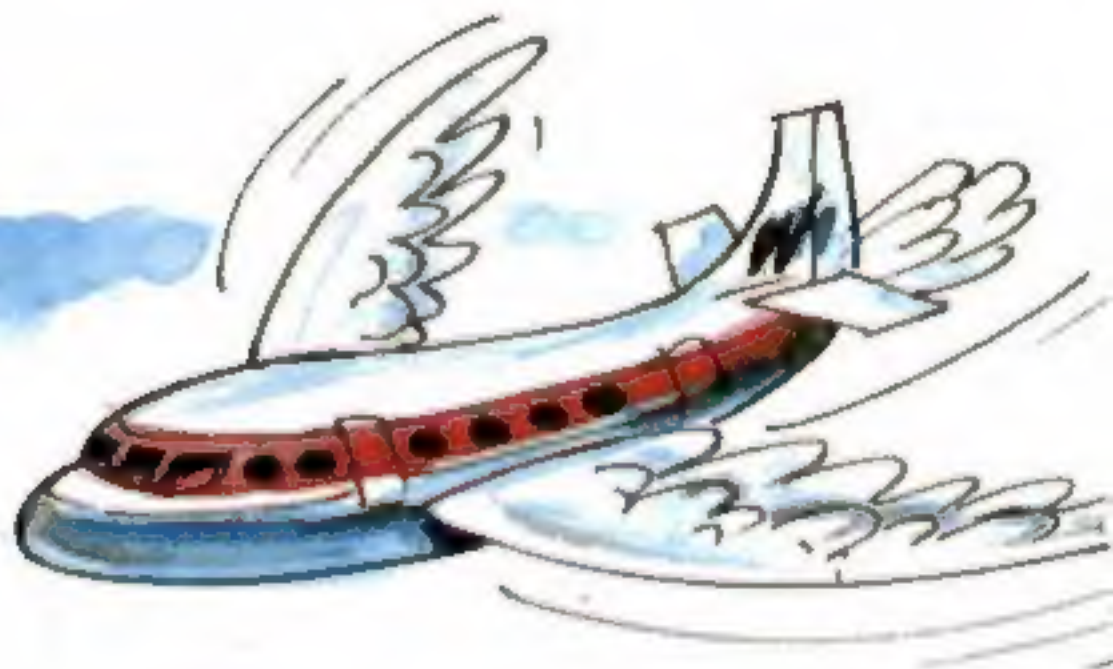
هل الطائفة لها ريش

في لقاء مع عدد من مشرفات الحضارة، استمعتُ إلى بعض الأسئلة التي يسألها الأطفال، الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات، وأرجو أن تسمعوا معي إلى بعض هذه الأسئلة:

قال طفل اعتاد أن يلقى كثيراً من الأسئلة: "ما هو شكل الشيطان؟ واين يوجد؟ ولماذا يجعلنا نعمل الأعمال السيئة؟"

وقال طفل آخر: "أنا شفت في التلفزيون رجلاً ضعيفاً، أخذ حقنة فأصبح قوياً.. أريد أن أخذ حقنة مثله فأصبح قوياً، لكي لا تضربني ماما عندما أرفض الأكل."





وقال طفل ثالث: "شاهدتُ هرقل في التلفزيون يُحاربُ
ولا يموتُ أبدًا .. أريدُ أن أكونَ مثلَ هرقل ، وألبسَ ملابسهُ."
وسألَ طفلُ رابعٌ: "هل يوجدُ بحرٌ فوقَ في السماءِ يأتي منه
المطرُ؟"

وسألَ طفلُ خامسٌ: "كيف يدخلُ الناسُ الطائرةَ ، وأنا
أراها صغيرةً جدًا؟ وهل صحيحُ أنه يوجدُ بها مطبخٌ وحمامٌ؟ وهل
لها ريشٌ مثلُ الحمامةِ تطلعُ به فوقَ في السماءِ؟"
واعتادَ طفلُ سادسٌ أن يسألَ: "لماذا لا توجدُ عندنا سيارةُ
أحني بها مع أمي إلى الحضانةِ؟ .. عندما أكبرُ ، أهمُّ شيءٌ أن تكونَ
عندي سيارةٌ كبيرةٌ أتنزَّعُ بها!!"

عالم من الكرتون

أطفالٌ من عمر أربع سنواتٍ إلى اثنتي عشرة سنة ، أمامهم
أكوامٌ من علب تعبئة البضائع ، المصنوعة من ورق الكرتون بلونه
البني ، ومجموعة من برطمانات حافلة بالألوان ، وفرش عريضة
للرسم ، ومقصات ، وقاطعات ورق .

وفي نهاية يوم من أيام معرض بولونيا الدولي لكتاب الأطفال
بإيطاليا ، ذهبتُ إلى " ركن الأطفال " ، فلم أعرف المكان الذي
رأيتُه في الصباح .

لم أجد أكوام العلب ، بل وجدت عالمًا من الإثارة
والدهشة : أقنعة على شكل قطع تضحك ، وشمبانزي يبكي ،
ومهرجًا يقف على رأسه ، وطيورًا خرافية .

رأيتُ بيوتًا نوافذها وأبوابها وجوه مندهشة أو حالمة .
وأمام حاجز حافل برسوم فراشات بالوان ساطعة ، وقفتُ أتابعُ
الأطفال ، وهم يقدمون مسرحية عرائس أبطالها مخلوقات فضائية ، لا
تتوقف عن إلقاء الأسئلة !!

ثم وجدت قلعة تعلوها أجهزة فضائية ، وكوبري على نهر تسبح
فيه عرائس البحر وفي رؤوسها أجهزة إرسال .

سألتُ : " كم تكلف كلُّ هذا ؟ " قالوا : " لا شيء .. العلبُ من
مخلفاتِ " السوبر ماركتِ " . أما الألوانُ و القُرَشُ ، فهي هدايا من
آباءٍ و أمهاتٍ ، يحرصون على تنمية الخيال و الإبداع و الابتكار عند
أبنائهم ، بغير قمعٍ و لا تسلُّطٍ و لا نقدٍ ، و لا سخرية من أية فكرةٍ
جديدةٍ أو جريئةٍ أو غريبةٍ !! "



عقلك فوق زجاج سيارة

" لا تنظر لى بعين رديّة ، بل انظر لى بعين راضية - هذه
الحلوة اسمها جمالات - ترجع بالسلامة يا حبيبي " . هذه بعض
العبارات التى نقرأها هى وأمثالها على جوانب ، أو فوق زجاج ،
بعض سيارات الأجرة أو النقل فى شوارع القاهرة .
والآن تعالوا نتأمل بعض العبارات التى جذبت انتباهى بشدة ،
قرأتها مكتوبة فوق زجاج عدد كبير جداً من سيارات نيويورك
وواشنطن :

" كلنا عائلة واحدة تظللنا سماء واحدة - التسامح أن ترى



بقليتك بدل أن ترى بعينك - عقلك أقوى ما عندك من قوة - كل فرد يكسب إذا عمل مع فريق - أهم أدوات النجاح أن تؤمن بأنك ستنجح - فكر فيما هو صواب ولا تفكر فيما هو الذي على صواب - لن تعرف أبدًا قوة قدرتك إلا إذا تحولت الأقوال إلى أفعال - في عالم ملآن بالاتباع حاول أن تكون قائدًا - حياتك لا تنتهي إذا خرت .. إنها تنتهي إذا أصابك اليأس .

رأيت هذه العبارات و أمثالها مكتوبةً بالألوان ، و بخط واضح ، وأحيانًا مع رسوم جذابة ، وبهذا جعلوا من السيارات التي يراها الكبار و الصغار آلاف المرات كل يوم ، وسيلةً دائمةً لبناء الإنسان ، و للتنشئة الاجتماعية السليمة .



دراجة في طرقات المطار

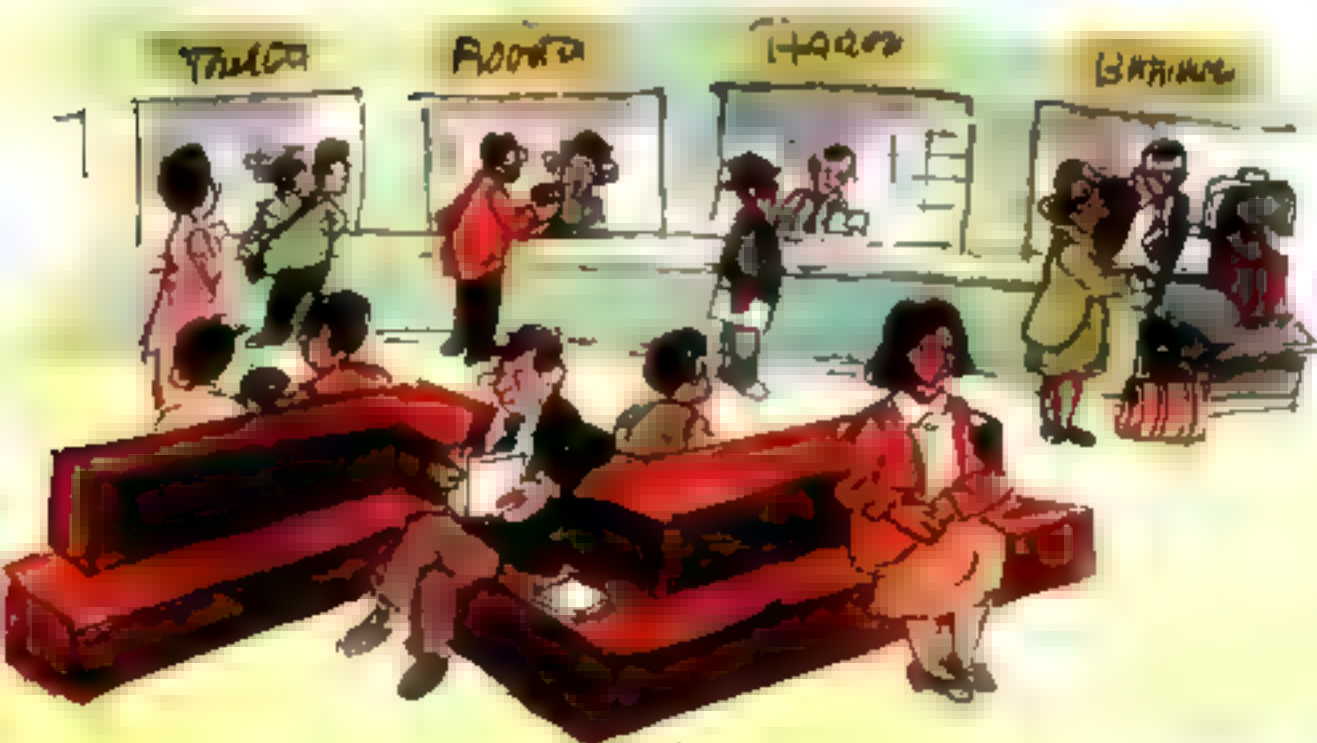
صاح الطفل عندما شاهد موظف المطار يركب الدراجة الصغيرة : " هذه للأطفال .. أريد ركوب الدراجة . "

وحاولت الأم إسكات ابنها الذي لا يزيد عمره عن أربع سنوات ، لكن الابن جرى ناحية الرجل صاحب الملابس الرسمية الأنيقة القاتمة اللون ، وأمسك بالدراجة وهو يهتف قائلاً : " أريد أن أعب بها .. " ذلك أن كل من يعملون في مطار فرانكفورت الدولي ، يستخدمون دراجات منخفضة ، للتنقل بين أجنحة الركاب المتسعة الكثيرة .



و أمام صحنات الطفل ، ظهر شيءٌ من الحيرة على وجه
الرجل ، ثم توقف عن السير بدراسته خوفاً من إصابة الطفل إذا
أرداد تشبهُه بالدراحة . وأسرعَت الأمُ تمسكُ أنها ، ليعترك الرجل
يهمُّ بواجبات عمله .

لكسى فوجئت بالرجل يزلُّ عن دراسته ، ويتناول الطفل من
أمه ، ويضعه فوق معد الدراحة ، ويسير به في دائرة وسط مكان
الانتظار وهو يقول للامُ صاحبكنا : " عندما كنتُ صغيراً ، تميتُ كثيراً
ركوب مثل هذه الدراحة . ومن حقك انك ان لا ينتظر مثلى خمسة
وعشرين عاماً ، حتى تحقق أميتُ !! "



لا تستغنوا عن الإطارات القديمة

عند الطهر ، سألوا الأطفال : " ما الذي يُمكن أن تتخللوه بالرسم . إذا أعطيناكم عددًا من إطارات السيارات المُسَعْنى عنها ؟ وفي نهاية اليوم ، كان الأطفال قد رسموا إطارًا مربوطًا به حبلان مُعَقَّان في فرع شجرة ، وقد ركب فوقه ولدٌ " مُرَحَّحٌ " أخته .

ورسموا عددًا من الإطارات ، كلٌ منها مُلتصقٌ بالآخر على شكل سقي يسقى عدة انحاءات ، والأطفال يدخلون من ناحية ويخرجون من الناحية الأخرى .

ورسموا عمودًا من الإطارات بعضها فوق بعض ، فأصحت بنرا ، ينزلون فيه و يصعدون منه .

ورسموا عددًا من الإطارات ثم تشبَّهوا واقفة على الأرض ، بعد كل منها مسافة عن الآخر ، والأطفال يقذفون بكرّة ، لتمر من خلال الإطارات واحدًا بعد الآخر .

ورسم طفلُ شارعًا املاً بماء المطر ، والباس قد وضعوا الإطارات بحوار بعضها تعرض الطريق ، ليعبروا فوقها ، فلا تنل أحديتهم .

ورسم آخرُ أحدَ السور ، يقفُ في السيرك داخل إطار مُشْتعل . أما أعجبُ الابتكارات ، فكانت لطفلٍ رسم شجرة ، ثمارها عجلات من المطاط المُلوَّن !



ثم رسمَ طفلٌ آخرُ عددًا من الإطارات، كلٌّ منها يرتكزُ على
حافة الإطار الذي تحته، ونباتاتٍ مُنسلقةٍ صفراءَ، زهورها حمراءَ،
تلتفُّ حولها، صاعدةً نحو السماء، إلى أن تختفي في السحاب!

فتاة فوق عربة حقائب

ما إن جلست الأم على أحد مقاعد الانتظار في مطار فرانكفورت الدولي بألمانيا ، تنتظرُ ميعادَ الطائرة التالية التي تستأنفُ بها سفرها إلى أمريكا مع ابنتها و ابنها ، حتى أسرع الطفالان ينزلان الحقائب من فوق عربة نقل الحقائب ، التي يستخدمها المسافرون في المطارات . وركبت الأخت فوق العربة ، وبدا الأخ يدفعها ، والاثنان يتصايحان في بهجة .

وفجأة دفع الصبي العربة بسرعة وقوة ، وقد تصوّر أن في هذا نوعاً من المداعبة لأخته ، لكن قدم الأخت انزلقت بين قضبان قاعدة العربة ، فصاحت من الألم .

وفزع الولد وقد أحس أنه ارتكب خطأ كبيراً .



وتوقعت أن تصفع الأم ابنتها ، أو ترعق فيه مؤثبة لأنه تسبب في
إصابة أخيه ، أو أنها ، على الأقل ، ستجذبه ليجلس بجوارها ويبقى
بغير حركة !! ..

لكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل وجدت الأم تتصرف بهدوء ،
وهي تنظف بمنديل ورقى الخدش البسيط في ساق ابنتها ، ثم
تقول لابنها وهي تدفعه ثانية يرفق مع أخيه ناحية عربة نقل
الحقال :

" استأنف اللعب مع أخيتك ، لكن كن أكثر حذرا في هذه
المرّة . "

وعادت ضحكات الفتى وأخيه يُجلجل من جديد ، وقد أصبح
التمتع بمراقبتهما تسلية معظم المنتظرين .



كله غلط .. غلط !!

أميرة طفلة عمرها ثلاث سنوات ، كثيراً ما تذهب إلى والدتها وتقول : " انظري يا ماما .. أنا عملت هذا العمود بالمكعبات . " أو تسألها مثل هذا السؤال : " لماذا لا يحترق عود الكبريت إلا إذا احتك بالعلبة ؟ " أو " هل تعرفين يا ماما أنني أستطيع أن أقفز من فوق المقعد إلى الأرض بغير أن أقع ؟ "

وفي كل هذه الحالات ، لم تكن الأم تجيب بشيء ، بل تتظاهر بأنها لم تسمع ، وتقول لغيرها : " تكفيني مشاغل البيت ، فليست عندي قدرة لأهتم بمثل هذه الأشياء الصغيرة التي تقولها أميرة أو تعملها . "

أما إذا سقط بعض الطعام على فستان أميرة ، أو سقط منها كوب على الأرض فانكسر ، أو وقعت أميرة أمام الحوض تلعب بالماء ، فإن الأم تترك كل ما يشغلها ، لتصيح بعنف في الصغيرة : " هذا غلط .. غلط ! "

وذات صباح ، كانت أميرة تشرب اللبن ، وعندما أرادت أن تضع الكوب فوق المائدة ، اهترت يدها ، فانكبت اللبن . وكعادة الأم انطلقت تصيح : " غلط .. غلط !! " ، وفوجئت الأم بابنتها تصيح بنفس طريقة : " كله غلط غلط ؟! .. لا يوجد شيء صح صح ؟! "